3. أداة الملاحظة:

تعد الملاحظة من أهم أدوات البحث العلمي، إذ تعتبر أقدمها، إضافة إلى أنها أداة حاضرة مع كافة البحوث حتى وإن اعتمد على أدوات أخرى لجمع البيانات.

«يقصد بالملاحظة في مجال البحث العلمي المشاهدة الدقيقة لظاهرة من الظواهر أو المجموعة منها، بالاستعانة بالأدوات والأجهزة والأساليب التي تتفق مع طبيعة هذه الظاهرات، وذلك بهدف معرفة صفاتها وخواصها والعوامل الداخلة فيها».[1]

أيضا هي «التبحر في ظاهرة ما ، أو فكرة ما، أو إدراك شيء ما أو ظاهرة ما عن طريق الوصف لها، وبعبارة أخرى استخدام البصر والحس والبصيرة في إدراك حقيقة ما أو وصفها».[2]

أنواع الملاحظة:

هناك العديد من أنواع الملاحظة والتي تتمثل فيما يلي:

- **الملاحظة العادية:** يعتبر هذا النوع ممارسة لدى كافة الأفراد، وهي ممارسة إنسانية تبتعد كل البعد عن العملية وعن المنهج العلمي، أي توجد عند عامة الناس.
- الملاحظة البسيطة: يسمى هذا النوع من الملاحظة بغير الموجهة حيث «يقصد بها ملاحظة الظواهر كما تحدث تلقائيا دون إخضاعها لأي نوع من الضبط العلمي، ولا يلجأ الباحث فيها إلى استخدام آلات وأدوات دقيقة للقياس أو وسائل للتأكد من دقة الملاحظة وموضوعها».

وعليه فهذا التصنيف والتقسيم للملاحظة يكون حسب درجة عملية وتنظيم الملاحظة.

تقسيم الملاحظة أيضا حسب مشاركته ودوره فيها:

- **ملاحظة بالمشاركة:** تتم هذه الملاحظة بالمعايشة، وهي الحالة «التي يشترك فيها القائم بالملاحظة مع الأفراد أو المبحوثين في مواقف الملاحظة ويتفاعل معهم للوصول إلى تفسيرات صادقة للأسباب السلوك، من خلال معايشة نفس المواقف أو المناقشة وتبادل الآراء»[3]، ويمكن أن تسمى أحيانا بالملاحظة الموجهة.
- **الملاحظة بدون مشاركة:** تحدث هذه الملاحظة «حين يقوم الباحث بإجراء ملاحظاته من خلال القيام بدور المتفرج أو المراقب»[4]، وعليه فإن في هذا النوع من الملاحظة لا يشارك الباحث، المجتمع الذي يقوم بدراسته.

تقسم الملاحظة أيضا حسب درجة ظهور الباحث:

- **الملاحظة المستترة (غير المكشوفة):** يعتمد الباحث على طريقين في حالة هذه الملاحظة، وهذا من خلال عدم الظهور وعدم الاقتراب من الجماعة أو الأفراد الذين يقوم بملاحظتهم، أو الاندماج وسطهم بشرط أن يخص صفته ولا يصرح لهم بأنهم محل ملاحظة ودراسة.
- **الملاحظة المكشوفة (غير المستترة):** في هذه الحالة يصرح الباحث للطرف الذي يقوم بملاحظته بأنهم محل ملاحظة ودراسة، ويعرف عن هويته، وأكيد أنها تكون في حالة نوع الملاحظة بالمشاركة.

وتقسم الملاحظة حسب المكان الذي تقام فيه إلى:

- **ملاحظة ميدانية:** وهي التي تتم في الميدان أي مكان تواجد الأطراف الذين يقوم بدراستهم، أي بالتنقل إليهم.
- **ملاحظة مخبرية (معملية):** وتتم داخل المخبر وليس الميدان، يقوم الباحث بجلب الشيء أو الفرد أو المجموعة التي يقوم بملاحظتها إلى المخبر.

مزايا الملاحظات:

من بين ما يميز الملاحظة في غيرها من الأدوات ما يلي: [5]

- تفيد في دراسة سلوك الأفراد والجماعات كما يحدث في الحياة العادية.
- تستعمل في جمع معلومات لا نستطيع الحصول عليها بالأدوات الأخرى، وبخاصة إذا رفض المفحوص الإجابة عن أسئلة الباحث.
- تستخدم في جميع أنواع الدراسات سواء كانت استطلاعية أو وصفية أم تجريبية.
- تسجيل الملاحظات حول السلوك والأفعال وغيرها وقت حدوثها.
- إمكانية استخدامها مهما كانت نوع الفئة التي يتم التعامل معها.
- أنها تمكننا من التأكد من صحة ما يقرر الأفراد أنهم يقومون بعمله.[6]

سلبيات وعيوب الملاحظة:

ومن ما يعاب على أداة الملاحظة أيضا:

- مشكلة تخضع أفراد العينة وتغير عاداتهم وسلوكاتهم إذا علموا أنهم محل دراسة.
- تتطلب الملاحظة جهد ووقت كبير، فقد تحتاج بعض الدراسات إلى سنوات.
- لا يمكن تسجيل ومراقبة ما يحصل بدقة، فقد تمر الكثير من المواقف والأحداث لا يكون الباحث حاضرا وقتها.
- في حالة الملاحظة بالمعايشة من الممكن أن يندمج الباحث في المجتمع المدروس ما يؤثر على دوره كباحث.
- يحدد الباحث المجتمع الذي سيقوم بملاحظة من حيث المكان والزمان.
- يحدد الباحث نوع الملاحظة التي سيعتمدها هل ستكون مكشوفة أو مستترة أو المشاركة أو بدون مشاركة.
- يقوم الباحث بتنفيذ الملاحظة والنزول إلى الميدان والشروع في الدراسة الميدانية.

تسجيل الملاحظات واعتماد الوسائل المساعدة في ذلك كأجهزة التصوير الكاميرا وغيرها.